مكتبة مصر
تقدم
مجموعة محمد وصحبه

منطق أعرابي

إعداد : أمير سعيد السحار



الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي بالفجالة

رسوم
عبد الرحمن بكر

انطلَق أحدُ الأعرابِ سابحًا بفكرِه فى رَوحانيةٍ يعتقد أنها أسمَى من روحانيةِ أهلِه وعشيرتِه وذَويه ، ورأىٍ أرفعَ من رأيِ أقرانِه وخلاّنِه ..

إنَّهم يعبدون الآلهةَ ، ويتقرّبون إليها ، ويقدّسونها كلَّ التقديسِ ، ويخُصّونها بالاحترامِ والتّوقيرِ ، ويحبِسون عليها الأحباسَ ، وهذا كلُّه جهلٌ وعظيمٌ كما يعتقدُ ويؤمن . بيدَ أن شيئاً واحداً يحز في نفسِه ، ويؤلِمُه ويضنيه، ولا يَفهم له سرًّا إلى الآن ، ذلك أنه إذا أراد خيراً دعا هذه الآلهةَ أن تقدّمَ له الخيرَ ، وتسدي إليه النّعمَ والفضل ، ويبالغُ فى دعائِه وضَراعَتهِ، ويُلحف فى طلبِه إلحافاً كبيراً، يحِز فى نفسِه ، لأنه عربي عزيزُ النفسِ ، لم يألف الذلَّ فى السؤالِ ، ولا المسكنةَ فى الطلبِ ، ولكنه يعلّل هذا بأنها آلهةٌ ، ومن حقِّ الآلهةِ على كل من يعبدُها أن يقدمَ لها فروضَ الطاعةِ ، ورسومَ الاحترام ،



يفعلُ ذلك ، ولكنه لا يحظَى منها بالخيرِ المرتجَى، ولا بالأملِ المرغوب . !

إذن ، فما الفائدةُ منها إذا لم تجبْه إذا سأل ؟ ولِمَ تعطِه ما يريدُ ؟ هل يعبدُها ويقدسُها ، ويقدمُ لها فروضَ الطاعة ، وواجباتِ الاحترام والتبجيل، ولا يحظَى من وراءِ ذلك بطائلٍ ؟ هذا كثير !!

ثم ماذا ؟ ثم هو إذا خاف من شرٌ وضُر ، ابتهل إلى هذه الآلهةِ بذلةٍ وضَراعة ، وخضوعٍ ومسكنةٍ ، علّها تدفعُ عنه ضُرَّه ، وتحبِسُ عنه الشرَّ الذى يخشاه ، والمكروهَ الذى يرهَبه ، والأذى الذى يخافُه، ولكنها أيضاً لا تحبِس عنه الشرَّ ، ولا تدفَعُ عنه المكروهَ والضر ..

إذن ، فما النتيجةُ من هذه العبادةِ التى طال أمدُها ؟ وكثرُت مراسيمُها وعظُمت تكاليفُها على نفسِه ، فلم يعُد يَطيقُ صبراً بعد ذلك ؟!

وإذا لم تقدِّمْ له الخيرَ ، وعجزتْ عن ذلك ، أليس من الإنصافِ أن تدفعَ عنه الضرَّ على الأقل ؟.. ذلك بعضُ ما يجبُ .

* * *

كانت هذه الشكوكُ تساورُه ، وتحزُّ فى نفسِه حزًّا عميقاً ، بيدَ أنه أخذ يجاهدُ ويجاهد ، ويصابرُ نفسَه ، ويراوغُها ويداورُها ، فيقول :

ــ ربما لا أفهمُ السرَّ فى ذلك ، ورُبَّ الغدِ القريب يكشفُ عن الحقيقةِ التى لابدَّ وأن تكونَ على غيرِ ما أرى وأظن ..

وبهذا أمكنه أن يُقنعَ نفسَه ، ويُرضيَ خيالَه وفكرَه ، ولكن لا عن

عقيدةٍ راسخةٍ ، وإيمانٍ عميقٍ ، ولكنه إقناعٌ فيه تقليدٌ لمن تقدمَه، وفيه إنكارٌ للعقلِ اليقظ ، والفكرِ الثاقبِ ، والرأيِ السديد.

وهو يَعجبُ ! لماذا لا يزال أقرانُه وعشيرتُه يعبدون الأصنامَ ، ويقدّسونها إلى الآن ؟ ، ولماذا كان على ذلك آباؤهُ وأجدادُه من قبلُ ؟

ولماذا ماتوا على هذه الحالِ ؟ . إذن فلينتظر !!.

* * *

ولكنْ أيبقَى هكذا يقلّد الآباءَ والأجدادَ ؟ لا لا ، عليه أن يتصرَّفَ نوعَ تصرُّف ، فيبالغَ فى التقديسِ ، ويمعنَ فى الإجلالِ والاحترام ، فما الطريقُ إلى هذا ؟

وظَل هذا الأعرابيُّ يفكّر فى هذه الناحيةِ حتى أجهدَ فكرَه ، وأضنَى عقلَه .. أخذ يعرضُ على نفسِه صوراً كثيرةً ، وحلولا عديدة ، ولكنه سَرعانَ ما يرفُضها ؛ لأنها لا تروقُه ولا تُرضيه ، ولا تطربُه ، ولا يسمعُ لها فى نفسِه صدًى ، ولا يرى لها القيمةَ العظيمةَ التى يرجوها ويصبو إليها ..



وأخيراً ، اهتدى إلى حلّ أرضاه ، وروى غليله ، وشفى نفسه مما تجدُ وما تعاني .. عليه إذن أن يصنعَ إلهًا يعبدُه وحدَه دونَ سواه ، يصنعُه صغيراً ، بحيث يمكنُه أن يحملَه معه أينما حلّ أو ارتحلَ ، في الإقامةِ والسفر .

وراقت له الفكرةُ ، وطربَ لها ، وأخذت أساريرُ وجهِه تنبسطُ في فرحٍ ومَراح ، وهتف من أعماقِ قلبِه في عزمٍ وصرامة :

ـ هذا هو الطريقُ الذي أبرهن به على إخلاصي في العبادةِ ، وحبي للآلهة ، ولم أفعلْ ما يفعلُه الآباءُ من قبلُ .

وكان له ما أرادَ ، فصنع إلهًا صغيراً ، وبالغ في تزيينِه وتجميلِه ، حتى أصبح كدُميةٍ جميلةٍ ، تسترعي الانتباهَ ، وأحاطه بسياج من التجلّةِ والتقديسِ والاحترام ..

* * *

ورأى الأعرابُ رجلاً منهم يحملُ لأولِ مرةٍ صنمًا صغيراً في كلِّ رحلاتِه وأسفارِه ، وحِله وترحالِه ! يحملُه في إكبارٍ وإجلالٍ ، يضعه إذا استراح ، ولا يكاد يحوِّلُ عنه الطرفَ ، بل يبقى بصرُه عالقًا به ، وكأنه يستمدُّ منه المعونةَ والنصرَ على الدّوام .. ويحملُه إذا سار ، ولا يتحوَّل عنه ، ولا يَصرفُ عنه النظرَ ..

واختلفت فيه الأقوالُ ، وتباينتِ الآراءُ ، ولاكَت سيرَته الألسنةُ الحدادُ ، هذا يمتدح عملَه ، ويُثني على فعلِه ، ويرى فيه رجلاً عاقلاً ديِّنًا ، يستحق

من قومه التَّبجيلَ والاحترام ، والتوقيرَ والإعظامَ . وأنه ابتكرَ شيئاً يستحقُّ عليه الحمدَ والثَّناءَ !

وهذا آخرُ يرميه بالجنونِ ، ويصفُ عملَه بالسّوءِ والضّلال ، والنكرانِ والبُهتان ، ويرى أنه أحدثَ بدعةً ذميمةً ، إذ كيف يجرُؤ أن يحملَ الإلهَ هكذا ويمضِي به في كلِّ طريقٍ ؟! إن هذا معناه الاحتقارُ والاستهانةُ بالمعبودِ ، لا القداسةُ والإجلالُ . !!

وهذا ثالثٌ اتّخذَ منه سُخرية ، ومَثارًا للنكتةِ اللاّذعة ، والطُّرفةِ القاسيةِ .. !

ولكن واحداً من هؤلاء لم يجرُؤْ أن يتفوَّهَ بكلمةٍ واحدةٍ ، أو يفتحَ فاهُ بنقدٍ أمامَ الأعرابي ، وإنما هذه آراءٌ تُبسَطُ وتُقبض ، وصفحاتٌ تُطوَى وتُنشر ، دون أن يعلمَ عنها هذا الوامقُ المدلّه شيئًا .. !!

والظاهر أن هذا مرجعُه إلى إخلاصِ الرجلِ أخيراً في عملِه ، وحبِّه لمعبودِه الذى يحملُه ، ومظاهرِ إجلالِه ، وتقديسِه له ، كلُّ هذا جعل الألسنَ تكفُّ عن الحديث ، ولا تذكرُه إلا في غَيبتِه بعيداً عنه.

* * *

وهكذا قصرَ الأعرابيُّ العابدُ الواله عبادتَه على معبودِه ، الذى صنعه بيديْه ، وسوّاه كما يحبُّ ويهوَى ويريدُ .. على الصّورةِ التى يتمنّاها والهيئةِ التى يريدُها .

عجبًا ! عابدٌ يخلقُ معبودًا !

وارتفع صوتُ القدَرِ من بعيدٍ يردّد هذه العبارةَ ، ولا يجدُ مجيبًا عليها سوى صوتٍ آخرَ، فيه قداسةُ الواقع ، وصرامةُ الحق ، يقول:

ـ هذا منطقٌ معكوسٌ !

ولكن هذَين الصوتَين لم يصِلا إلى أذنَيْ ذلك الأعرابيِّ الوامقِ المدلّه ، إذ طُبع على قلبِه ، فهو غُلف عن الحق ، بعيدٌ عن الصّواب ، فظلَّ يحمل الصَنمَ لا يريمُ ، وكان لا يتركُه إلا حيثُ يقضي حاجتَه ، ولا يحسِر عنه الطرفَ إلا حيثُ تنام منه العينان !

وتوثّقت الصّلةُ بين الأعرابي ومعبودِه ، وأصبح ذلك الصَنمُ الذى لا يسمعُ ، ولا يَرى ، ولا يُحس ، ولا يَنفع ولا يَضر ، ولا يتحرَّك .. أصبح هذا الصنمُ جزءاً لا يتجزأُ من حياةِ ذلك الأعرابيِّ الغريبِ .. !!

أجل ، إنه يناجيه بأعْذبِ الألحان ، ويناغيه في غَفوةٍ من الناس ، ويقومُ إليه فى جوفِ الليلِ يبُثّه شكواه ، ويُلقي إليه بما يتمنّى ويشتهي ويرجو ويأمُل ، ولكن الصنمَ مع هذا كلّه صامتٌ لا يتحرّك ، أصمُّ لا يَسمع ولا يَصيح ، أخرسُ لا يفكرُ ولا يجيب !!



وكان الأعرابيُّ عندما تفورُ روحانيتُه ، ويعلو نشيجُه ، يَسمعُ الصَدى يتردَّد .. تُردّده الفَلاةُ الرحبةُ الوسيعةُ ، فيخيَّل إليه أن الإله يجيبُه ويردُّ على أمانيه ، ويحققُ آمالَه ، ويوحي إليه بما يجبُ أن يعملَ، فيمضي في شكاتِه وضَراعتِه ، أو بالحرَى في عَمايتِه وجَهالته، ثم يقومُ بعد ذلك ينفذ أولَ فكرةٍ تبدو له ، معتقِدًا أنها من وحيِ إلهِه ومعبودِه .. !

وخرج مرةً إلى الصحراءِ يحملُ صنمَه ، وقد بلغَت محبتُه له أقصَى غايتِها ، فلم تعُدْ يدُه تشعُر بثقلِ هذا الصنمِ ، لكثرةِ مرانِها على حملِه ، وشعورِ العابدِ النفساني نحوَ هذا المعبودِ .

وصار من العسيرِ أن يدعَه ويمشيَ بدونِه ، بل من المتعذرِ أن يغيبَ عنه لغيرِ الحاجةِ الماسّة ، والضرورةِ القُصوى .

وَسالت عَبراته تشتكي له أمراً من الأمور ، فلقد شعَر بضيقٍ لخلافٍ وقع بينه وبين رئيسِ القبيلةِ ، وهو يخشَى عاقبةَ هذا



الخلافِ ، فيرجو صنَمه ومعبودَه أن يُزيل هذا الخلافَ ، وأن يدفعَ عنه هذه الجائحةَ التي يرى بوادرَها ، ويشعرُ بخطرِها ، يقتربُ رويداً رويداً ، وأسبابُها تمتدُّ ، وتأخذُ عليه كلَّ سبيل .

إنه رجلٌ ضعيفٌ لا ناصرَ له ، ولا معينَ ، فمن الواجبِ أن يقفَ صنمُه بجانبِه ، يُعينُه ويساعدُه ، وينصُره على خصمِه العاتي الظالمِ ، وليسَ ذلك على الإلهِ بعزيز .

وأحَس بشعورٍ باطنيٍّ وحنانٍ نحوَ هذا المعبودِ ، وكأن شيئاً سيختطفُه منه، فنظر حوالَيه في ذُعرٍ وخوفٍ ، وأمسك به في قوةٍ وجبروتٍ ، ولكنه خشيَ أن يتكسّرَ من شدّةِ الضغطِ ، فجلس هُنَيهةً ليستريحَ ، ثم قامَ ليقضيَ حاجتَه ، فابتعد عنه قليلاً ، ولكن نظرَه عالقٌ به في حِرصٍ بالغٍ واهتمامٍ كبيرٍ .

وجاء ثعلبٌ من بعيدٍ ، فنظر إليه الأعرابيُّ في حنَقٍ وغيْظٍ ، وكأنه غريمٌ له يحاول البطشَ به والاعتداءَ عليه ، وتقدّم الثعلبُ ، واقترب من الصَّنمِ ، فعجب الأعرابي أيَّما عجبٍ ! واشتدّت حيرتُه ، وعظُمت دهشتُه ! ثم قال في نفسِه :

ما حاجةُ هذا الثعلبِ إلى معبودي ؟ وما الداعي لاقترابه منه إلى هذا الحدِّ؟.. عجباً ! إنه يُشمشم فيه ، ويدورُ حولَه في احترامٍ بالغٍ ، ووقارٍ كبيرٍ .

تُرى هل يفهمُ الثعلبُ الماكرُ معنى التَقديسِ والاحترام، والعبادةِ والتّبجيل ؟ فهو يقدِّم فروضَ الطّاعةِ ، ويؤدِّي مراسيمَ العبادةِ ، ومظاهرَ العبوديّة لصنمِه العزيزِ !

يااللعجبِ ! إذا كان الأمرُ كذلك ، فصنمُه من الاحترام بمكانٍ عظيمٍ ، ولابُدَّ أن يكونَ معبودَ الإنسِ والجنِ، والحيوانِ الصامتِ والباغمِ على السواء .. إنه مقصرٌ إذن في حقِّه ، وكان من الجُرمِ أن يعترِيَه الشكُّ في هذهِ الآلهةِ والأصنامِ ، عليه أن يقومَ فوراً ، ويقدمَ فروضَ الطاعة كما يجبُ أن تكونَ، وعليه أيضاً أن يمسكَ بهذا الثعلبِ ، ويحتفظَ به ، لأنه مفكِّرٌ عاقل ، وإلا فكيفَ يقدم فروضَ الطاعةِ إلى الإلـه ثُعلبان ؟ لابد أن يكونَ هذا الثعلبانُ مقدساً هو الآخرُ ، وأنه صافي النفسِ ، نقيُّ الروح ..

وكان فرحُ الأعرابي بهذا الحادثِ ، وذلك المنظرِ عظيماً جدًّا ، واجتهدَ لينتهيَ مما فيه ، من قضاءِ الحاجةِ ، ليقومَ إلى ذلك الثعلبانِ ، ويمسكَ به خشيةَ أن تفلتَ منه الفرصةُ المواتيةُ ، والحظُّ الكبيرُ .. ولكنه اعتقد أنه لابدَّ منتظرُه ، وأنه يعلم ما يجول في نفسِه من أفكارٍ لها قيمتُها ومكانتُها ورفعتُها وسموُّها ..

وطال دورانُ الثعلبِ حولَ الصنمِ ، وتمسحُه به ، وازداد إعجابُ الأعرابى بذلك ، وعظم حبُّه لصنمِه وللثعلبِ أيضاً، وكاد ينتهي من قضاءِ حاجتِه ، ويسرعُ إلى ذلك الكنزِ يحتويه ويحرصُ عليه، ولكنْ حدث ما جعله يقف مكانَه حيثُ هو مشدوهاً لا يحير .. !!

* * *

حدث أن ذلك الثعلبانَ رفع إحدى رجلَيهِ الخلفيتَيْن !

تُرى هل يريدُ أن يبولَ ؟ وكيف ذلك ؟ هذا ما لا يفهمُه الأعرابي ولا يَدريهِ ، إنه لا يمكنُ أن يكونَ هذا بحالٍ من الأحوالِ ، فكيف يُبول الثعلبُ على الإلهِ ؟ هذا كثيرٌ .. يجبُ أن ينتظرَ حيثُ هو لِيرى ماذا يكونُ حقيقةُ الأمرِ ، وواقعُ الحالِ !

إنه لو فعلَ ـ بلا شك ـ ستنطبقُ السماءُ على الأرض .. لن تبقى الأجواءُ كما هي تَبعثُ النشاطَ في البدنِ ، والحياةَ للجسمِ ، وتمسكَ الروحَ .. ولن يهبَّ النسيمُ يملأُ الرئتَيْن ، وينعشُ القلوبَ .. ولن تبقى السماءُ مزدانةً بالنجومِ .. ولن تكونَ الشمسُ مضيئةً منيرةً تُرسل الأشعةَ ناصعةً حارّة تنقي الأجسادَ ، وتنمي النباتَ والأشجارَ ، ولن يظهرَ القمرُ جميلاً رائعَ المنظرِ، صافيَ الأديمِ ، نقيَّ الرقعةِ .. يُريح القلوبَ المكدودةَ ، ويشرحُ الصدورَ المحزونة ، والأفئدةَ المكروبةَ ، ويذهبُ الوَحشةَ القاتمةَ التى تخيمُ على النفس ، وتَرينُ على الروحِ فتكاد تزهقُها .. ولن تبدوَ الكواكبُ ملتمعةً متألقــةً من حينٍ إلى حــين ، منثورةً في السماءِ كدراهمَ نُثرت على بساطٍ من زَبرجد !! ولن يوجدَ



بعدُ حيوانٌ أو نباتٌ !! لن يغغمَ ظبْي ، أو يصهَل فرسٌ ، أو يثغوَ شاءٌ !!
أجل لابدَّ أن تزولَ هذه الحقائقُ الثابتةُ ، وتلك الخلائقُ الماثلةُ عندما يغضبُ الإلهُ ، ولابد أن تَنمحيَ هذه الكائناتُ في لحظةٍ واحدةٍ .. وإلا فكيف يكون هذا الصنمُ حقيقاً بالعبادةِ ، إذا لم يغضبْ إن بال عليه ثعلبان خسيس ؟!
وأغمض الأعرابيُّ عينَيْه ، واضطرمت في باطنِه ثورةٌ عاصفةٌ ، وأيقن بقربِ الطامّةِ ، واقترابِ الراجفةِ ..
ثم بخسفِ الأرض وطيِّها كما يُطوَى السِّجلُّ ! يا ويحَ الإنسانيةِ ؟ ويا بلاءَ العالَمِ المكروبِ ! هذا نذيرُ الدَّمارِ والوبالِ ، هذه نهايةُ العالمِ سيشهدُها بعينَيْه الآن .. لُطفًا .. !!
ألا يمكنُ أن يكونَ كاذبًا في نظرِه ، مغاليًا في خيالِه ؟! وأنه أخطأ النظرَ، وأن الثعلبانَ لا يبولُ؟ من الجائز ، ولكن كيفَ ذلك ، وهو متحقّقٌ منه ؟ أنه لا يحلُمُ ، بل هي الحقيقةُ الواقعةُ لا مِريةَ في هذا!!

* * *

وفتح عينَيْه ، فإذا بالثعلبِ يبولُ على صنمِه .. !

عجباً ! إن السماءَ كما هيَ ، بصفائِها وزرقتِها وجمالِها ، وإن الأرضَ كما هي منبسطةُ الرقعة ممتدةُ الرحاب ، لم تنطبق السماءُ على الأرض ، ولم ترتج الأرض، ولم تخسَف ، ولم تُطوَ طيَّ السجل .. لم تنفجرْ ينابيعُها ! أو تهطِل المياهُ متدفقةً من السماءِ لتُغرقَ الكونَ ، وتقضي على الناس .. ولم تهب العاصفةُ تَحرقُ الناسَ ، وتدمِّر العالَمَ .. لا لا .. هذا كلُّه لم يحدُثْ ولم يحدث شيءٌ منه .. فما معنى هذا ؟ أمعناه ... أمعناه .. !!

وفرّكَ عينَيْه ، ولم يقدِر على تصورِ ما يجولُ في خاطرِه أو يعتملُ في نفسِه .. إنه الكفرانُ .. إنه النقمةُ والثورةُ والجحودُ .. !!

ثم غض بصرَه سريعاً ، ودارت الدنيا به ، وأحس أنه يسمعُ كلَّ حركةٍ في السماءِ والأرضِ ، وانبهمت أمامَه الحقائق ، حتى لم يعُدْ يسمَع شيئاً لأنه لا يتبينُ شيئاً ..

وأحسَّ أنه يرى في السماءِ والأرض ، حتى خُيِّل إليه أنه لا يبصرُ شيئاً، وأن الدنيا أمامه ظلامٌ في ظلامٍ ، وأحس أن العاصفةَ تؤلمُه ، وأنه في مهبِّ الريحِ تنذرُه من كلِ مكان ، وأن الحرارةَ الأليمةَ تضنيه وتسقمه ، حتى كأنه في النيرانِ يتلظّى بين طبقاتِ الجحيم . !

أحس بهذا كلِّه وشعر به مجتمعًا ، فلم يميِّزْ شيئاً لشدّةِ ما ألَمَّ به من خللٍ في الحس ، واضطرابٍ في العواطفِ ، وإرهاقٍ للشعور !

وحوّل نظرَه مرةً أخرى ، فإذا بهذا اللعينِ لا يزال يبول ، ويدورُ حول الصنمِ ، وكأنه يسخرُ منه ومن صاحبِه فى صورةِ أليمةٍ قاسيةٍ ، ويهزأُ به وبعبودِهِ إلى هذا الحدِّ الزري ، الذى أورثه المهانةَ والضَّعةَ ، والذلةَ القاتلةَ!! ..

عند ذلك لم يطِق صبراً ، وانفجرَ صارخاً فى حِدةٍ وجنونٍ ، وطفِق يعدو نحو الصنمِ بسرعةٍ وخَبل ، وقد جَحظت عيناه فى احمرارٍ مُخيفٍ ، وتدفّق الدمُ حارًّا ثائراً فى شرايينه ، فكأنما هو وحشٌ فاتك ، وسَبُعٌ ضارٍ .

وفزِع الثعلبانُ من هذه الحالِ ، وولى الأدبارَ ، ولكن الأعرابيَّ لم يتركْه يجري ويَفلتُ منه ، فأخذ يعدو خلفَه ، والثعلبانُ يحاورُه ويداوره ، وكأنما وُهب لهذا الأعرابى قوةَ السماء ، فأوتيَ ما لم يؤته إنسانٌ ، فما كانت



المسافةُ بينه وبين الثعلبِ ـ الذى أخذ يجري هو الآخرُ فى جنون ـ أكثرَ من مرتين أو ثلاثة ، وهذا ما جعل عنده الأملَ قويًا فى إدراكِـه واللحاقِ بـه ، فظلَّ يعدو والثعلبانُ يعدو .. والحصى يتناثرُ هنا وهناك ، والأحجارُ تتساقطُ فى عنف ، والرمالُ تثيرُ غباراً يعلو ثم تذروه الرياحُ .. والأعرابي يعدو مشمِّراً ثوبَه ، وكأنه عِفريتٌ من الجن ، أو طاغيةٌ جبارٌ من مَردَة الشياطين .. !!

لقد كان منظراً يبعثُ الرعبَ فى القلوب ، والهلعَ فى الأفئدةِ ، ولكنه فى الوقتِ نفسِه يثيرُ الضحكَ ، ويدعو إلى العجبِ والدهشةِ ، ويُلقي فى رُوعِ الناظرِ أنه لا يرى شخصاً عاقلاً يفكِّر ، وإنما يرى شخصاً مخبولاً به مسٌّ من الشيطانِ الرجيم !

ثم أخذت المسافةُ تطولُ وتبعد ، بين الأعرابي والثعلبِ رُوَيداً رويداً .. فلقد تعِبَ الأعرابي ، وخارت قُواه ، أما الثعلبُ فمضى إلى سبيلِه يعدو لا يلوِي على شيءٍ ، وكأنما هو يسعَى إلى عملٍ ذي بال !!

* * *

رجع الأعرابيُّ منهوكَ القُوى . مهدَّمَ البدنِ ، حزينًا آسفاً حيرانَ .. وعاد إلى صنمِه وهو يلعنُه ، ثم أخذ يركُلُه بقدمَيْه فى سُخريَةٍ واستهزاء ، وهو يُتمتِم :

ـ إذا لم تدفعْ عن نفسِكَ الضُّر ، فكيف تستحقُّ العبادةَ والتوقيرَ والاحترامَ ؟! كيف أعبدُك أيها الذَّليلُ ، وأنتَ هدفٌ لأخسِّ الحيواناتِ ، وأضعفِ السباعِ ، وأحقرِها شأنًا .. للثعلبِ اللعين .. ؟!

ثكلتني أمي إن عبدتُك بعدَ هذا .. أو عبدت صنمًا على الإطلاقِ .. إن نفسي لم تُكذِّبني حينما حدثتْني بأنك لا تنفعُ ولا تضر . وأن عابدَك مخبول.. !

وصمتَ قليلا ، ثم جأر في حَنقَ وغَيظ :

ـ لتذهبَنَّ إلى الجحيمِ أيها اللعينُ .. لن أعبدَ صنمًا بعد الآن .. إنني صنعتُك بيدي ، وسوَّيتك كما أحب ، فكان المنطقُ السليمُ أن أكونَ أنا إلهَك ومعبوَدك ، لا أن تكونَ أنت إلهي ومعبودي .. !!

ودارَ حولَه دوراتٍ ، كما يدورُ الأسدُ الطَّعينُ ، ثم رفعَه بين يدَيْه إلى أعلى ، وقذف به إلى الأرضِ في حَنق وغَيظ وثَورة ، وهو يقول في تشفٍّ ونقمةٍ :

أربٌّ يبولُ الثعلُبانُ برأسِه لقد ذلَّ من بالتْ عليه الثعالبُ !

فوقع الصنمُ مُهشمًا ! ومضى الأعرابيُّ وهو ينظرُ إليه شذَراً ، وقد تخلّصَ من حُوبٍ كبيرٍ .. ونجا مِن خطر ماحقٍ وشرٍّ أليمٍ .. !!

